العاشق

بقلم الروائي: محمد سامي البوهي

وأضاء المُحيا حياءً بحنايا العشق، فارتفعت الروح تطوف حول مُحياها، فضاقت بها الأرضون بما رحبت، وصارت السماء لها متسعًا. فالروح إذا ارتفعت سجدت، وإذا هبطت سُجنت، وإذا نُثرت اندثرت، وإن مالت مَلَّت، وإن اشتاقت رانت، وإن تلهفت برقت، وإن أحبت استكانت، وإن كرهت سقطت، وإن أُصيبت زهدت، وإن صعدت نجت، وإن بقيت فنيت، فانظر إلى الكون حيث يسكن الله في كل مكان كان ولم يكن، واختر لنفسك مهربًا من الناس تفر به إليه، تَحَدَّثْ معه كثيرًا، فهو يسمعك... وهو وحده من يمتلك كل الحلول، وهو وحده من يغير ولا يتغير، وهو وحده من يبتسم لك، ويحنو عليك، ويأسرك لتكون حرًّا بأفكارك.

والأرواح رزق للأجساد، تتعجل لالتقاطه، فما بين فرحة ورجاء ووعد يكمن الرزق، أما ما بين الأرقام خواء، فلا تحزن لفراق كُتب له الفناء، وافرح بلقاء أبدي لا ينقطع فيه رزق قط.

كيف تضع يدك على قلبك ولا ترى الله داخلك؟

ليس في قلبك سوى مهجة كلما رانت راقت، وكلما تجددت عادت، وكلما عشقت زادت طمعًا، لكن إن أصابها سوادٌ سَلَّمَتْ نفسها للمطر، فصعدت.. صعدت إلى حيث المنتهى الأول، وليس الطريق وحده ما يأخذك إلى حيث المنتهى، فهناك من الطرق ما لا ينتهي، لكنه النور وحده ما يجمع كل النهايات.

العين ترى ولا تؤمن، فترى النور ولا تضيء، وترى الظلام ولا ترى ما يستره، لكن القلب يرى كل شيء ولا نراه.. ولكنه وحده من يؤمن بما يراه ولا نراه، وإن الشر لهو خير لمبتغاه، أما الخير فهو خير حتى أمد الدهر، فلا الضر يأسرك أبدًا، ولا بالنفع أنت نبي مرتجى، أما إذا ساورك الشك فارفع يديك إلى السماء كي تحملها عنه، فانظر إلى أعلى دائمًا، حيث ترى بين خطوط الكون طلاسم السمو، ولا تخفضها حتى تؤمن بأن موسى قد غفل فهوت القارورات من بين يديه وانكسرت، لكن عين الله لا تنام، وما بيديه لا يهوي أبدًا إلا بأمره، والروح تواقة، فَأَطْعِمْهَا، فهي النجاة التي تأسرك لتطرق أبواب الجنان، فاركض برجلك نحو الحيوان الأبدي، فهناك ستجد ما يحملك إلى حيث قُدِّرَ لك، وابتسم لذنوبك لأنها قد فارقتك بارتكابها، وتعلق بالحسنات لأنها سترفعك إلى السماء، واقبض على قلبك لأنه عن المعاصي مُنَزَّهٌ، وَأَزْهِدْ حواسك لأنها شاهدة عليك يوم اللقاء، ولا تبتئس من المآسي، فهي كماء عذب يُخفَّف به منقوع من الملح.

فاخفض روحك دائمًا كي تصعد، واصعد دائمًا ولا تقاوم، وقاوم دائمًا كي تصعد، اصعد.. اصعد.. فستحملك أوجاع زهدك، وانصب لنفسك مأمنًا في الدنيا، لتكون مطمئنًا في الآخرة..

اصعد..

لا تخش الارتفاع بنظرك لمن فارقتهم، فهم راحلون مثلك، كلٌّ إلى حال مصيره المنتظر، وإياك من التعلق بنظرة تثقلك، فقط هي روحك التي تجذبك نحو المنتهى، فاصعد.. اصعد.. واسعد بمن يتلقفك في الجنة.

اصعد..

ففي الصعود سمو، وسموك قد سبقك إلى هناك قبل أن تولد أنت، فروحك كتب لها النجاة قبل أن تخطو بعملك، فاقترف ذنبك المستقيل، ولا تحزن لفراق الخير، فعثراتٌ تقويك إن أدركت الطريق، وطريق يأخذك من طريق إلى طريق، حتى تتقاطع كل الطرق، وتبقى روحك تطوف سبعًا حول نقطة التلاقي، فإلى ربك المساق، وعند ربك أنت تُرحم.

اصعد..

ولا تبتئس، ففي صعودك حياة، لم تعشها بعد، أما دنوك فيحمل حياة عشتها قطعًا، وانتهت، تتركها شئت أم أبيت، فلا مخلد في حياة زائلة، ولا زوال إلا بعد أمر، ولا أمر إلا وتبعته طاعة، ولا طاعة إلا بقناعة، ولا قناعة إلا بإيمان، ولا إيمان إلا بمشيئة، ولا مشيئة إلا بما شاء، فاصعد.. اصعد ولا تبتئس، ففي صعودك حياة لا تنتهي..

اصعد..

اصعد..

فأنا العاشق الذي غضضتُ الطرفَ عن الأسباب، وتعلقت بصاحب كل سبب، فأتبع سببًا، وانساب قلبي في سبت من العطر، فتسربت من أوجاعي تنهيدةُ عشقٍ هَبَّتْ على وقعها الأزهار

وارتفعت أسراب الذاكرين تطلب من صاحب الأسباب من كل سبب سببًا.

فـما أجمـل العشـق الإلهـي المفعـم بالنـور الـذي يشـع مـن قناديـل الأوليـاء، فيصبـح الكـون كلـه أمـام عينيـك مضيئًـا بالتسـابيح، والذكـر.. وتتنـزل عليـك أجنحـة تحملـك إلى حيـث لا تعلـم، فتعلـم أن هنـاك قلبًـا يسـكنك يشـتاق، وتتعلـم رمـوزًا، وأسـماء يشـكلها السـحاب في الآفـاق، لا يقرؤهـا سـوى أنـت، ولا يبتسـم لهـا سـوى أنـت، ولا ترسـم سـوى وجهـك أنـت، فـلا حائـل بينكوبـين علمـك يمنعـك، ولا حاجـز يتجبـر داخلـك كذنـب كبـير يـأسرك في دوامـة اللائمـين، فتظـل راضيًـا، مرضيًـا، ترفـع يديـك بالدعـاء وتسـتجير، فيهتـك يقينـك سـتر الريـب، وتأخـذك روحـك إلى حيـث يسـكن الأنبيـاء في السـموات، فسـماء لعلـم هـو لـك، وسـماء لشـفاء هـو لـك، وسـماء لبرهـان هـو لـك، وسـماء لمعرفـة هـي لـك، وسـماء لحكمـة أتتـك، وسـماء للنجـاة منـك، وسـماء أخـيرة هـي أنـا وأنـت، فَـزِدْ مـن عشـقك عشـقًا بـه تشـتاق، فليـس للعاشـق سـوى فـؤاد واحـد يجلـس بـه مـع اللـه حينـما تنفـض مـن حولـه المجالـس، حيـث لا وجـود لغبـار تركتـه أمـم خلفهـا، ولا وجـود لكلـمات تصرفـك عـن تمـام الـكلام، ولا وجـود لأسرار سـوى سر بينكوبـين صاحـب السـر الكبـير، فاعشـق.. اعشـق.. وزد مـن عشـقك عشـقًا؛ ترتفـع، فأنـت عـالم فسـيح، يسـبح في عـالم أكـبر، مـن فوقـه عـوالم أكـبر، يـرى، فـيرى مـا لا يـرى، ويسـمع مـن داخلـه مـا لا يسـمعه إلا هـو، فيهيـم في الملكـوت يبحـث عـن الـلاشيء، ويرتجـي نظـرة منـه، وعفـوًا، ورحمـة ومغفـرة!